المحاضرة الاولى

**مدخل: تاريخ الفكر اللساني1**

قبل التطرق إاى الأبعاد الجديدة للسانيات، لابد من اشارة وجيزة الى ما طرأ في العصور السابقة من البحوث التي تعرضت لسبر أغوار اللغات ، و سنسلك الاتجاه الكرونولوجي في تتبعنا لأهم المراحل الكبرى للفكر اللغوي.

1**-الدراسات الللسانية القديمة**: لا يمكن تصور أن مباحث الللسانيين المحدثين و المعاصرين حول الدراسات اللسانية قد انطلقت من العدم و لم تسبقها محاولات عديدة في دراسة اللغة قديما ، بل نجد الكثير ممن سبقهم اعتنوا بالدراسات اللسانية قديما كقدماء المصريين و الهنود و اليونانيين و العرب.

**أ-لدى قدماء المصريين:** يرجع اهتمام قدماء المصريين باللغة إلى حوالي ما قبل الالف الأولى (10 قرون) قبل الميلاد، على ضآلة المعلومات التي استقاها الباحثون، إلا ان فحص الآثار الفرعونية جعلنا نعرف مشاهير فقهاء اللغة عندهمن حيث عثر في "معجم الحضارة المصرية القديمة" على مقالة حول اللغة التي ألفها "سرج سونرون" يتضح من خلالها أن كان لديهم اهتمام كبير بالكتابة، و التي بدأت بالرسوم و النقوش و الاشارات الدالة على المعاني المستخدمة في الهيروغليفية القديمة، ثم تطورت هذه الرموز الى دلالات، و كانت عبارة عن نصوص موضوعاتية بحيث يهتم كل نص بموضوع معين.

**ب-لدى الهنود:**

تشير أغلب الدراسات و البحوث الى أن الهنود كانوا من أوائل الأمم التي أةلت المسألة اللغوية العناية البالغة كونها إلى القرن السابع قبل الميلاد تقريبا، و ذلك في جل مستويات اللغة و بالأخص الجانب الصوتي، فقد وصفو الأصوات اللغوية وصفا دقيقا من ناحية نطقها بدافع اهتمامه باللغة السنسكريتية لغة الهند القديمة، فقد ترك الهنود ملاحظات جد صائبة في وصف نظام لغتهم الصوتي اعتمادا على مبدأ السماع، و يتزعم هذه الجهود بانيني ( ( panini ، و هناك من ذهب إلى تسميته بأب الصوتيات في العالم، عاش في القرن الخامس أو الرابع قبل الميلاد و هو واضع كتاب "المثمن" الذي يحوي دارسة صوتية عميقة و مدهشة للغة الهندية خاصة و اللغات الأخرى عموما.

أما فيما يخص المنهج المتبع في وصف الاصوات فقد انطلق من أقصى الحلق الى الشفتين، كما قسموا الأصوات بسبب وضعية الإعاقة التي تعترض الهواء أثناء النطق مما جعلهم يميزون بين الأصوات و بين الجهر و الهمس.

بالإضافة إلى الاهتمام الكبير للهنود بالجانب الصوتي فلقد اهتموا ايضا بأغلب جوانب اللغة الأخرى كالتركيبي و النحوي، فقد ميزوا الفعل عن الاسم و و حروف الجر كما جمعوا المادة اللغوية و صنفوها و استخلصوا منها القواعد.

بالإضافة الى اهتمامهم بالجانب المعجمي المعجمي فقد أعدوا قوائم من الألفاظ الصعبة في النصوص المقدسة و أتبعوا ذلك بشرح معاني هذه الألفاظ، كما وضعوا معاجم الموضوعات أو معاجم المعاني.

كما اهتموا ايضا بالجانب الدلالي في اللغة خاصة فيما تعلق بعلاقة اللفظ بالمعنى.

تدعو الحصيلة المعرفي التي توصل إليها الهنود في دراساتهم الللغوية و خاصة الصوتية إلى الإعجاب و التنويه و الاشارة.

**ج-لدى اليونانيين:**

أما عن بداية جهود اليونانيين اللغوية فيرى بعض الباحثين أن اول من قسم الأجناس إلى مذكرة و مؤنثة و غير مذكرة او مؤنثة هو السوفسطائي اليوناني الشهير ( بروتاغوراس) و كان له فضل كبير في وضع أساس النحو و فقه اللغة الأوربيين و غيرها من الأعمال.

ثم يأتي دور أفلاطون و الذي فرق بوضوح بين الأسماء و الأفعال لقد ورد في أغلب الدراسات التاريخية للغة أن المحاولات الاولى لدى اليونانيين لوضع تفسير لللغة قد ظهرت مرتبطة بالفلسفة من خلال ايجاد العلاقة بين الاسم و معناه على يد فلاسفة من أمثال أفلاطون و أرسطو و ذلك عندما لا تعطى تلك الألفاظ و المصطلحات حقها كاملا من الإبانة و الوضوح.

و يرى لعض الباحثين ان الدراسة الصوتية عند اليونانيين كانت تهتم بالجانب السمعي لأصوات و درجات تأثيرها على الأذن، و لم يهتموا بالجانب النطقي الفيزيولوجي إلا اهتماما ثانويا، على عكس ما فعله الهنود و حتى العرب الذين اهتموا بالجانب النطقي.

**د-لدى الرومان:**

استفاد النحويون الرومان لاحقا من هذه الانجازات السابقة و أضافوا إليها أشياء كثيرة تمثلت في تعزيز نحو اللغة اللاتينية التي أصبحت لغة عالمية، و بات ينظر إلى نحوها أنه نحو عالمي مثالي فقد ألف فارو ( varro) كتابه اللغة اللاتينية الذي يتكون من خمس و عشرين جزءا، وكان تقسيمه للدراسة اللغوية الايتمولوجيا و الصرف و النحو، كما ظهر في العصر الكلاسيكي للاتينية النحو التعليمي لهذه اللغة و الذي أخذ الاهتمام بتدريسه إلى غاية مرحلة القرون الوسطى